

تعريب العلوم ودوره في التنمية في الوطن العربي

الدكتور سعيد كناي

عضو المجلس الأعلى للغة العربية

1 - مدخل: يعيش العالم العربي في السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في جميع الميادين سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية، لكن لا تزال تعترضه عقبات وصعوبات جمة للتغلب على مشاكل التنمية الشاملة.

إن أهم هذه المشاكل مشكلتان مرتبطتان ببعضهما البعض وهما التعليم والبحث العلمي والتنمية، فالمجتمع يتقدم ويزدهر حين يتحسن مستوى التعليم والبحث العلمي ويتخلف المجتمع بتأخر البحث العلمي وتدني مستوى التعليم. لذلك فالوضع الذي نراه اليوم في العالم العربي لا يبعث على الارتياح لتدني مستوى التعليم بشكل كبير قد يهدد مستقبل الأجيال القادمة.

إن أسباب تدني مستوى التعلم والبحث العلمي كثيرة ومنها قلة الموارد البشرية والمالية وضعف التخطيط وعدم تسهيل نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة لكن لا يمكن أن نغفل أن للغة التعليم أثرا كبيرا على مستوى التحصيل العلمي للطلاب ومدى استيعابهم للدروس التي يتلقونها، وهو ما يفسر كون دول العالم تقرض اللغة الوطنية¹ كلغة أساسية في التعليم ذلك أنّ توظيف التكنولوجيا لا يكون إلا باللغة الوطنية لجعلها متداولة على مستوى الناس العاديين. وسنتطرق في هند الورقة إلى واقع التعريب في الجامعات والمؤسسات الاقتصادية العربية ثم نرى واقع التنمية في الوطن العربي ودور التعريب في الحصول على التنمية الشاملة.

¹ د عثمان سعدي "تعريب العلوم والتكنولوجيا وتوطينها" يومية المساء، العدد الصادر يوم 1999/10/15 الجزائر.

2- واقع التعريب في الجامعات العربيّة: يعيش العالم العربي وشعا غير

مستقر في ميدان العلوم والتكنولوجيا. ففي حين أنّ التعليم الثانوي معرب في معظم البلدان العربيّة فإن الجامعة تعيش ازدواجية لا تحسد عليها، فالعلوم الاقتصادية والإنسانية معربة غالبا في الوقت الذي نرى أنّ ميدان العلوم والتكنولوجيا بقي بعيدا عن اللّغة العربيّة في معظم جامعات العالم العربي باستثناء الجامعات السورية والعراقية وبعض الخطوات المحتشمة في بعض دول المغرب العربي كالجزائر وليبيا.

إنّ هذا الوضع مؤسف كثيرا خاصة إذا علمنا أنّ دولا صغيرة كفييتام وبلغاريا واليونان تدرس العلوم بلغاتها، حتى إسرائيل أحييت اللّغة العبرية التي تعد لغة ميتة مندثرة، وكذلك دولة مثل تنزانيا التي تعتمد اللّغة السواحلية تعليمًا وإدارة.

إنّ أسباب تعثر التعريب في الجامعات العربيّة كثيرة ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- غياب القرار السياسي الواضح وتردد بعض مسؤولي تعريب التعليم العالي وعدم اقتناعهم بجدوى التعريب بحجة عدم استيعاب اللّغة العربيّة للعلوم.
- غياب خطة عمل منهجية لتعريب تدريجي وشامل.
- نقص الكفاءات العلمية العربيّة واستخدام الأستاذ الأجنبي في التعليم العالي.
- قلة الوثائق العلمية باللّغة العربيّة كما ونوعا فمثلا بينت بعض الدراسات² أنه ترجم من عام 1970 إلى 1980 في البلاد العربيّة 2840 كتابا وكان نصيب الكتب العلمية 14% فقط.
- عدم التنسيق بين الجامعات العربيّة وعدم ارتباطها ببعضها البعض

شهادة الخوري اللغة العربية والتقدم العلمي والثقافي في الوطن العربي مجلة التعريب، المركز العربي للتعريب-دمشق العدد الأول مارس 1991 ص 29-42.

باتفاقيات تعاون أو توأمة.

- عدم توحيد المصطلحات داخل الوطن العربي وأحيانا داخل القطر العربي الواحد رغم المجهودات الجبارة التي قام بها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط والركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق وعمان والقاهرة وبغداد وبعض مراكز التعريب في الجامعات العربية كجامعة الملك عبد العزيز بجدة وجامعة التكنولوجيا ببغداد ووحدة التعريب والترجمة بالخرطوم.

3- واقع التعريب في المؤسسات الاقتصادية: بالرغم من التعامل المباشر لمعظم المؤسسات الاقتصادية مع الجمهور الواسع فان التعريب فيها لا يزال في بداية الطريق وخاصة في بعض دول الغرب العربي، وهو ما ساعد على خلق جو غير سليم بين إطارات هذه المؤسسات وعمالها وعلى خلق صعوبات في الإعلام والاتصال بين إطارات هذه المؤسسات وأفراد الشعب. فالمهندس الفلاحي يجد صعوبات كبيرة في التقاهم مع الفلاحين وكذلك الطبيب مع مرضاه والبيطري مع مربى الماشية والمهندس المدني مع العمال والبنائين. ان هذه الصعوبات طالت حتى السياسيين الذين يريدون إقناع الشعب ببرامجهم بلغة غير اللغة التي يفهمها. لقد أدى هذا الأمر إلى قطع المثقفين والمسيرين عن الجماهير وجعلهم معقلين في أبراجهم العاجية غير قادرين على حل مشاكل هذه الجماهير. إذا كان هذا الوضع يقع بشكل كبير على عاتق الجامعة التي لم تقم بتعريب التعليم فيها وان المؤسسات الاقتصادية ما كانت إلا جهازا لاستقبال خريجي هذه الجامعات لتوظيفهم، فان اللوم لا يقع على الجامعة وحدها. فمثلا في الميدان الإداري للمؤسسات لبعض الأقطار لم تعرب إلا وثائق قليلة وبقيت جل المراسلات والمداولات والعقود تحرر باللغة الأجنبية وهذا رغم ان معظم

خريجي الجامعة في ميدان الإدارة والعلوم الاقتصادية هم من الدفعات المعربة التي وظفت للعمل في المؤسسات بلغة لا تحسنها.

4-واقع التنمية في الوطن العربي: تعاني الأمة العربيّة من تخلف

كبير. رغم ان بعض الأقطار منها تملك دخلا معتبرا نتيجة للثروات الكبيرة التي تزخر بها الأرض العربيّة كالبتروول والثروات المعدنية مما جعل الدخل القومي في البعض منها يفوق 10000 دولار للفرد الواحد كما هو الحال في قطر والكويت. وان امتلاك الثروات واستيراد المعدات لم يؤد إلى زيادة معتبرة في التنمية إذ تشير بعض الإحصائيات^{3 4}. ان نسبة الأمية في الوطن العربي تتعدى 40% ومستوى الخدمات الطبية متدن، وأن أكثر من 50% من حاجات الوطن العربي الغذائية مستوردة من الخارج. ويعاني أكثر من 50% من سكان الوطن العربي من سوء التغذية ومتوسط حياة الفرد منخفض ونسبة وفيات الأطفال كبيرة، كما يعاني معظم سكان البلدان العربيّة من سوء السكن واكتظاظه ، فمتوسط عدد الأفراد في السكن الواحد يفوق عشرة أشخاص في بعض الدول، أما نسبة السكان النشطين اقتصاديا فلم تتجاوز 27 % في سنة 1984 وهي نسبة ضعيفة مقارنة بمعدل بلدان العالم الذي يصل إلى 40.7% كما تتميز اليد العاملة العربيّة عموما بتدني المهارات، فأكثر من 40% منها تعتبر عمالة غير مؤهلة. في مقابل هذا كلّ نرى دولا كسنغافورة وهونغ كونغ التي لا تملك ثروات تتكرّ وبدأت من لا شيء باستثناء ميناء بحري وصلت إلى ما وصلت إليه باعتمادها على القوة الذاتية المتمثلة في علمائها ومهندسيها.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " موجز استراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي" المجلة العربية للعلوم العدد 15 ص 61-68.

محمد عدنان وديع الموارد البشرية واستراتيجية تطوير العلوم والثقافة في الوطن العربي" المجلة العربية للعلوم العدد 17 ص 5-32.

ان الطريقة التي تتبعها معظم الأقطار العربيّة للحصول على التنمية لم تعط النتائج المبتغاة، فمثلا بناء العامل الجاهزة على طريقة المفتاح باليد أو شراء التجهيزات العصرية لم يؤد إلى نقل حقيقي للتكنولوجيا، وحتى إرسال البعثات العلمية أدى إلى زيادة هجرة الأدمغة إلى البلدان التقدمية بدل زيادة الكفاءات العلمية في الوطن العربي. أما الاعتماد على الخبرات الأجنبية في أكثر من 785 من الاستثمارات الإجمالية فلم يساعد على الحصول على التقنيات العالية فغي مصر مثلاً⁵ تم في وقت ما بناء معمل لصناعة الانابيب الأيونية الحرارية thermoionic tubes لكن ما ان تم انجاز العمل حتى غزا الترانزيستور العالم مما يدل على ضعف في التخطيط أو إهمال لأهل الخبرة من الوطنيين.

لا يمكن للوطن العربي أن يتقدم وينمو نموا كاملا اعتمادا على نقل غير فعال للتكنولوجيا باستيراد الآلات والمعامل ولكن يجب أن توطن العلوم في البلدان العربيّة بنشر واسع للثقافة اسمية وتكوين الإطارات الكافية والكفوة باللّغة العربيّة.

لقد عرف البعض⁶ التنمية الاقتصادية بأنها مجموعة التبادلات التي تحدث في مجتمع يسعى لتحقيق نمو يعتمد على الإمكانيات الذاتية في فترة قصيرة من الزمن وبمعنى آخر فالتنمية هي التعبير النوعي !لخطط في جميع القطاعات وهي المعيار الذي تقاس به درجات التقدم. لا يمكن إذن تحقيق هذه التنمية دون الاعتماد على المعرفة العلمية والبحث العلمي في الدراسة والتخطيط والتنفيذ. لقد قال نهرو⁷ "إنّ العلم وحده هو الذي يمكنه من حل

⁵ Mohamed abdualem science technology and science education in the developmente of the south mai 1991

⁶ حول نضال محمد الرئيس " وجهة نظر حول البحث العلمي في التنمية مجلة التعريب العدد 3 ص 91-101.
الأمانة العامة اتحاد المجالس البحث العلمي العربية دراسة حول استراتيجية عربية لنقل وتطوير العلوم
والثقافة في الوطن العربي.

مشاكل الجئ والفقر والمرض والأمية لبلد غني يسكنه شعب جائع وإن المستقبل سيكون للعلم وإلى أولئك الذين يصبحون أصحابا للعلم". فما هو واقع العلم وإقليم في الوطن العربي؟ وكما قال روني ماهيو المدير العام لليونسكو (1965) بأنه "لا يكمن لأي بلد ان يكون حرا إلا إذا كان يملك علماءه وتقانييه"، فهل تملك الأمة العربية علماءها لتصح حرة وتنمو اقتصاديا وما مدى حصول ذلك فعلا؟

5- واقع البحث العلمي في الدول العربية: يعاني البحث العلمي في الدول العربية من مشاكل عديدة، فالجامعات العربية لا يتجاوز عددها 90 جامعة ومعظمها حديث النشأة إذ حوالي 87% منها تأسس بعد منتصف هذا القرن. كما أن عدد الطلاب إلى عدد أعضاء هيئة التدريس غير مقبول على العموم إذ يبلغ معدل مجموع الدول العربية 1:29 مقارنة مع المعدل المقبول عالميا الذي هو بحدود 1:10 إلى 1:15 وتبلغ هذه النسبة حدودا خطيرة في بعض الدول كسورية وموريتانيا أين قاربت 1:90 وهذا ما يؤدي إلى تركيز هذه الجامعات على التدريس بدل البحث العلمي لان حالات كهذه ينخفض فيها معدل تفرغ أعضاء هيئة التدريس للبحث العلمي إلى 10.1% فقط.

إنّ ضعف الإمكانيات البشرية يصبح جليا بالمقارنة مع الدول المتقدمة إذ فعدد الباحثين لكل عشرة آلاف من القوى العاملة في الأقطار العربية مجتمعة يساوي حوالي 3.8 بينما يتقدم اليابان بحوالي 15 مرة على الأقطار العربية مجتمعة وفرنسا 10 مرات، بينما فيما يخص القوى المساعدة للباحثين أي التقنيين فهناك 1.5 تقني لكل ألف مواطن في الوطن -العربي مقارنة بـ 4 تقنيين في اليابان و9 في انكلترا. إضافة إلى هذا تعاني معظم مراكز البحث والجامعات العربية من قلة الانفاق المادي عليها فنسبة الاتفاق على البحث والتطوير من مجمع الدخل المحلي الإجمالي لمجمع الأقطار العربية في سنة

1984 بلغ نسبة 0.2% مقارنة مع 2.21% بالنسبة لليابان و 2.22% بالنسبة لفرنسا وهو أقل حتى من المعدل العام للدول النامية الذي يبلغ 0.4% وأقل كذلك عما تبذله إفريقيا (0.36%).

أما الجامعات العربية فلا تصرف أكثر من 5% من ميزانيتها على البحث بينما تصل هذه النسبة في البلدان المتقدمة كالولايات المتحدة إلى 24%. أما فيما يخص النشر العلمي فلا يتعدى عدد الدوريات العلمية في الأقطار العربية 230 دورية ويتميز معظمها برداءة الطباعة وعدم الاستمرارية والانتظام في الصدور، ولا تتعدى انتاجية الباحث العربي 0.5% بحث سنويا وهي انتاجية منخفضة جدا. أما عدد الكتب المنشورة فلا يتعدى 43 كتاب لكل مليون نسمة وهو عدد ضئيل إذا قارناه بعدد 542 كتاب لكل مليون نسمة في أوروبا.

6- دور التعريب في التنمية: يتضح مما سبق ان الأمة العربية تعاني من تخلف كبير في البحث العلمي والتنمية، لهذا يجب وضع استراتيجية شاملة للنهوض بالأمة العربية مرتكزة على عومم وعلى إعداد القوى البشرية العلمية المؤهلة، إذ لا يمكن لأية أمة ان تقدم وتتمو اقتصاديا واجتماعيا دون تقدم علمي. وتقتصر الدراسة التي قامت بها الهيئة العربية للطاقة الذرية⁸ لبناء العلم في أي مجتمع، ٦، الاهتمام بالتعليم التقني والمهني وربط المؤسسات الانتاجية بمؤسسات البحث العلمي ووضع للجماهير فهل يمكن ان يتم هذا بغير اللغة العربية؟ وهل يمكن للأمة العربية ان تساهم في بناء صرح الحضارة الانسانية بغير لفتها التي بنت أمجادها؟ انه لا سبيل لها في اكتساب التكنولوجيا والحصول على التنمية الشاملة غير الاعتماد على الانسان العربي التقن لعلوم العصر بلغته.

⁸د مصطفى حجازي التعليم الجامعي مجلة التعريب العبية العدد 3 ص 53-73.

إنَّ عدم اعتماد التعريب يؤدي إلى فقدان الوحدة الثقافية المبتغاة بين الدول العربيّة، فلا يستطيع البحث العلمي العربي ان يتابع لأنّه يصدر في إحداها بلغة لا تحسنها الأخرى، فالبعض يستخدم اللّغة الفرنسية والآخر يستخدم اللّغة الانجليزية أو الألمانية. أما داخل القطر العربي الواحد، فعدم استعمال اللّغة العربيّة يؤدي إلى خلق ازدواجية قد تشكّل خطراً على الوحدة الوطنية، ثم إن معظم الجامعات العربيّة لا تمنح الشهادات العليا كالـدكتوراه وربما حتى الماجستير، لذلك تلجأ إلى بعث طلابها إلى مختلف دول العالم فيتعلمون بلغات مختلفة كالروسية والألمانية، ثم يجبر هؤلاء حين عودتهم إلى الوطن العربي على استعمال لغة أجنبية أخرى قد لا يحسنونها.

إن استعمال لغة أصلية واحدة ضروري ولا يمكن أن تكون هذه اللّغة في الوطن العربي إلا اللّغة العربيّة. وإن استعمال اللّغة العربيّة يساعد في تكوين القوى البشرية والنشر العلمي، وعلى التقليل من الصعوبات التي يعانيها الطلاب باعتمادهم على اللّغة الأجنبية التي تؤدي إلى قلة استيعابهم وتمثلهم للعلوم، فينخفض مدى التحصيل العلمي ويتدنّى مستوى التعليم بشكل عام وهو ما يؤثر سلباً على التنمية لما للتعليم الجامعي من دور فيها. كما يساعد التعريب أيضاً في تسهيل التنسيق بين مراكز البحوث في الأقطار العربيّة وتبادل الخبرات وعلى توسيع الثقافة العلمية في الأوساط الشعبية والكفاءات المتوسطة التي لا يمكن للأمة ان تنهض بدونها.

يسهل استخدام اللّغة العربيّة كذلك من تعميق الروابط بين مؤسسات البحث العلمي وبين القطاعات المستخدمة والمؤسسات الانتاجية وهو ما يفتح للبحوث آفاق التطبيق والاستغلال، فلا يمكن للجامعة أن تبقى بمعزل عن المجتمع وخطط التنمية بل يجب أن تساهم ببحوثها هذه في خدمة التنمية. ثم لا ننسى أن اللّغة العربيّة عنصر هام في بناء شخصيّة المواطن

العربي. وتعلمه بلغته يقوي عزته ويربطه بماضيه وتراثه العام وهو ما يكمل التحرر الفكري للأمة العربيّة ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من انواع التبعات الاقتصادية والثقافية والعلمية ويساعد على وحدتها، وهو الأمر الذي يجمله الدكتور أحمد عمر يوسف، مدير مركز التعريب بقوله: "إن لغة الأمة، أية أمة هي ماضيها وحاضرها ومستقبلها وملاحمها وقسمات وجهها التي تعرف بها وتميزها عن الأمم الأخرى. والاعتزاز باللّغة والتمسك بها والذود عنها أول خطوة في طريق البناء والصعود في مدارج الرقي".

لكن هنالك جملة من التساؤلات التي قد يطرحها البعض ومنها : هل يمكن أن نواكب التطور العلمي والانفجار المعلوماتي على صعيد العلوم الحديثة باستعمال اللّغة العربيّة أن تستوعب هاته العلوم؟ ولماذا لا يأخذ العلماء مباشرة من اللّغة الأجنبية؟ للإجابة على هاته التساؤلات نقول بأنه حقيقة لا يمكن ترجمة كلّ جديد إلى اللّغة العربيّة، لكن هل بمقدور جميع أفراد الأمة أن يأخذوا مباشرة من اللّغة الأجنبية؟ إن من يستطيع ذلك هم أصحاب الكفاءات العليا والذين يحسنون اللّغة الأجنبية فقط؟ وكما يقول الدكتور حسين سليمان قورة، لأنّ الأخذ من اللغات الأجنبية لا يقف عند حد الأخذ إذا أريد به تطوير المجتمع، وإنما لا بد أن ينزله إلى ميدان التطبيق الذي يشارك فيه المواطنون من كلّ المستويات الثقافية، ويحتاجون إلى أن يتابعوه ليحسنوا المشاركة، فلا بد إذا ان يكون في متناول ما يعرفون من لفهم إلا صعب على الآخذ ان ينزل به إلى مستوى التثنيين والتطوير للمرافق الاجتماعية... ان التنمية الشاملة للوطن العربي تحتاج إلى الزيادة في الكفاءات وخاصة على مستوى التقنيين وأفراد الشعب عامة وهذا لا يمكن حدوثه دون استعمال اللّغة التي يتداولها أفراد الشعب. فمثلا حين يصمم المهندس المعماري بناية ضخمة ويضع المخططات لها، فانه يحتاج إلى عمال مهرة لتنفيذ تصميمه وإقامة البناية باستعمال مواد

البناء المناسبة وفي الوقت المخصص لتنفيذ المشروع، فهل يستطيع العمال تنفيذ ذلك إذا خوطبوا بغير اللّغة التي يفهمونها؟ وكذلك الطبيب هل يستطيع تشخيص المرض دون مخاطبة المريض بلغة عربية مبسطة لمعرفة أصل الداء الذي أصابه؟ وهل يستطيع المهندس الزراعي تحسين نوع البذور أو زيادة انتاج الحبوب أو الفواكه في منطقة فلاحية دون تبسيط طرق الري ومكافحة أمراض النباتات وتحسين السلالات للفلاح الذي لا يعرف إلا اللّغة العربيّة؟ ثم ان هذا لا يمنع العلماء وهم النخبة من ان ينهلوه ويستوعبوا الجديد في كلّ علم وفن بكلّ لغات العالم، بل واجبهم ان يفعلوا ذلك ثم يقدموه بعد استيعابه للجموع العريضة من الجماهير لتواكب الأمة كلّها ركبا للحضارة.

إنّ الأمة العربيّة مطالبة اليوم ان تستعيد دورها الريادي للحضارة الانسانية حينما كان علماءها روادا في الكيمياء والصيدلية والرياضيات وجامعاتها في الاندلس وشمال إفريقيا تعج بالطلاب الأوروبيين، ولا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلا بإعادة الاعتبار للفتها رمز حضارتها وعزتها.

الخلاصة: تزدهر الأمة وتنمو بنمو لفتها • والأمة التي تشكو من ضعف أو عجز في لغتها تحكم على نفسها انها أمة مختلفة عاجزة، وهل هناك تخلف أكبر من عدم انتشار العارف والعلوم في أوساط أفراد الأمة والتخلف عن مسايرة ركب الحضارة الانسانية؟

لهذا فعلى الأمة العربيّة إذا أرادت تنمية شاملة أن تعمل على عصرنه لفتها وعلى توطين العلوم بها دون إغفال تعليم اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية وذلك من أجل استعادة مكانتها والقيام بدورها الريادي بالمساهمة في تقدم الحضارة الانسانية.